إزالة الدهش والولهة

عن المعجز في صحة حديث «ماء زمزم لما شرب له»

جميع الحقوق محفوظة للمكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ٣٧٧١/١١ - برقيا : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨

دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧

عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

بقلم: زهير الشاويش

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم، الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أما بعد، فإننا نقدم للقراء الكرام هذا الكتاب، الذي نرجو أن

ينفعهم في أمر مرتبط بمعتقدهم، وبما توارثوه عن أسلافهم. يتعلق بما وضع الله سبحانه من خصائص في بلده الحرام مكة المكرمة حفظها الله بالإسلام. وعلى الأخص بئرها التي انبثق ماؤها في أطهر بقعة على الأرض بالمكان الذي تتوجه إليه القلوب والأفئدة قبل الأنظار والأجسام، وجعله معجزة لأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم وابنه النبي الذبيح إسماعيل عليهما السلام. وأكرم الله به الأم المتلهفة على سقيا ابنها الرضيع، وكانت من بعدهم حتى يومنا هذا شراب حجاج، وعمار، وسكان بيت الله الحرام، الذي يشربه المؤمن متضلعاً متشبعاً به، بنية القبول، ويحمله إلى أهله تحفة وهدية. وتوارثوا ذلك في كل العصور والأزمان منذ أنبطه الله – سبحانه – إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد قال عنه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه:

«ماء زمزم لما شرب له».

وقد تداول هذا الحديث أهل الإيمان، وعملوا بما فيه من شرب لماء زمزم كلٌّ حسب نيته ورغبته.

والحديث صحيح، وهناك أحاديث تعاضده وتسانده مختلفة المراتب تدل بمجموعها على فضله وميزته.

غير أن بعض الناس تجاوز حده، وزعم بأن هذا الحديث الذي تدور حوله رسالتنا – هو: **حديث موضوع**.

فقام من أهل العلم من رد عليه قوله.. وتناقل الناس وجهتي النظر..

فتصدى لهذا القول الشيخ محمد بن إدريس القادري الحسني،

وكتب هذه الرسالة التي جمع فيها ما استطاعه من أحاديث وأدلة، وأقوال لنصرة هذا الحديث وسمى رسالته:

«إزالة الدهش والوله»

عن المتحير في صحة حديث

«ماء زمزم لما شرب له»

وتولى طبعه سنة ١٣٣٠ بمصر في المطبعة الجمالية على ورق أصفر هش، وكانت هذه الطبعة بـ (٦٠) صفحة مع ما أضاف إليها من التقاريظ. والرسالة لا تخلو من مآخذ رغم صحة الغرض الذي أريدت له.

وبقيت رسالته هذا الدهر الطويل، من غير أن يجدد أحد طبعها أو تحقيقها. وكان تنبهي لها، والتفكير بإعادة تحقيقها وطبعها، بعد تخريج ما اشتملت عليه من أحاديث وأخبار وقصص.. بحث جرى بين بعض علماء بلدي دمشق – حرسها الله وسلمها – منذ أكثر من أربعين سنة.

فقد أخبرني أخي العالم الجليل الشيخ مصطفى الخن (الدكتور فيما بعد، والأستاذ في كلية الشريعة بدمشق، ثم في جامعات المملكة العربية السعودية) حفظه الله، فقد قال لي:

لقد ضمنا مجلس مع صاحبك الشيخ ناصر الدين الألباني، عند سلامنا على أحد الحجاج (الشيخ لطفي شامية) وقدموا لنا من ماء زمزم في الأواني الصغيرة (الفناجين) كما هي العادة.

ولكن الشيخ ناصر اعترض على هذا النوع من الإكرام.. وأنه ليس لماء زمزم خصوصية، إذا نقل من مكانه في مكة. وأنه لم ينقل

عن أحد من الصحابة، أنه كان ينقل ماء زمزم، أو حمله. واعتبر ذلك من البدع وعدد وجوهاً لذلك.

وبحثت معه الموضوع بالصورة التي يحتملها مجلس فيه عدد كبير من الناس، وبعضهم من العامة الذين يحسن أن يصرفوا عن الدخول في مثل ذلك.

ولكن الشيخ ناصر الدين بقي مصراً على أمور متعددة أدخلها في البحث. وخرج عن المعتاد في مثل هذه المجالس، التي تكون الأبحاث العلمية فيها هامشية.. غير أن الشيخ غلبته حدته.. وغادر المكان وهو غاضب.. الأمر الذي سبب ضيقاً لأهل البيت والزوار...الخ.

وأخبرني أيضاً بأن الأخ الشيخ محمد الحموي الكسواني - رحمه الله - شارك في البحث، وغيره من العلماء، وأظن أنه ذكر الأخ السلفي الشيخ نسيب المجذوب - رحمه الله .

وطلب إليّ الشيخ مصطفى أن أجمع بينه وبين الشيخ ناصر على انفراد أو بحضور عدد من الأصحاب لأمرين:

الأول: ليزيل من نفس الشيخ ناصر، ما قد يكون علق بها من ظن به. مخافة أن يحسبه من الذين يشغبون على من يخالفهم الرأي.. أو أنه من أنصار البدع!!

الثاني: أن يقدم للشيخ ناصر ما تجمع عنده من أدلة جديدة حول الموضوع للوصول إلى الحق.

وعلل الشيخ مصطفى اختياري أنا دون غيري بأنه يعرف صلتي

الوثيقة بالشيخ ناصر.. وذكر أموراً أخرى - جزاه الله الخير على حسن ظنه -.

ومن تلك الأمور أنني أعرفه أكثر من جميع الذين لهم صلة بالشيخ ناصر، لما بيني وبينه من جوار وصلة، وما كان بيننا من مشاركة في حضور دروس أستاذنا المجاهد الشيخ حسن حَبَنَّكة - الميداني - رحمه الله.

ومما لم يذكره - الشيخ مصطفى - أنني حضرت عليه دروس الفقه الشافعي في غرفته في جامع كريم الدين - الدقاق - مع بعض إخواني في شعبة الميدان بالقاعة المجاورة لغرفته.

وقدر الله أن سافر الشيخ ناصر.. من غير أن أفاتحه بالأمر، ولم يتم اللقاء بينهما.. وقمت في تلك المدة بمراجعة شيء حول الموضوع. وتذكرت رسالة القادري «إزالة الدهش».

فلما رجع الشيخ ناصر.. أخذت له هذه الرسالة، وحدثته بما قاله الشيخ مصطفى.. فرفض الاجتماع واللقاء لأسباب رآ ها وجيهة.. وعلمت أن بعض الأفاضل بحثوا معه الموضوع أيضاً، واعتذر إليهم كذلك.

فعرضت عليه تخريج أحاديث الرسالة، فاستمهل ذلك متعللاً بما لديه من أعمال كثيرة يقوم بها للمكتب الإسلامي.

وأنا أكتب هذا.. معتمداً على ذاكرتي، وقصاصة في نسختي من «إزالة الدهش» سجلت فيها بعض ذلك.

وعلمت بعد مدة أن الشيخ ناصر وجد حديثاً عن نقل سيدتنا عائشة أم المؤمنين لماء زمزم!!

ومضى الزمن الطويل، وأخبرني الشيخ ناصر بأن الإخوة في مكتب دمشق، لا يقدمون له من العمل، ما يسد الوقت المتفق عليه معه للعمل به لحساب المكتب كما هو الاتفاق بيننا!!

فأرسلت له نسختي من «إزالة الدهش» - وبعض الكتب - راغباً إليه أن ينظر في أحاديثها في أوقات المكتب. لعلنا نطبعها مع التعليقات التي جمعتها، وطلبت إليه النظر في تعليقاتي.

فقام - حفظه الله - بكتابة نيف وثلاثين تخريجاً فقط، جاءت في تسع صفحات، ولم يبد رأياً فيما علقت.. مكتفياً بوضع اشارات بقلم الرصاص على بعض المواطن طالباً أن أتولى التعليق عليها أو تحقيقها. وسمى عمله هذا:

التعليقات المُسبلة على إزالة الدهش والوله، عن المتحير في صحة حديث «ماء زمزم لما شرب له».

فقلت له (بين المزاح والجد): ما دامت التعليقات مبتسرة، والتخريجات لم تستوعب جميع الأحاديث والأخبار، فلماذا هذا الاسم الكبير الطنان الرنان، والسجع الذي لا ينزل في قبان أو ميزان.

فنزل - أكرمه الله - على رأيي (كما هي عادته تلك الأيام)، وقال:

الأمر إليك فافعل ما تراه، ما زلت مسدداً موفقاً مُلهماً، بارك الله

فيك يا أبا بكر، والاسم والمسمى والعمل والتخريج ملكك وحقك.

قلت: إذاً نكتفي باسم «التعليقات» وتشمل كل ما علقته أنت، وما علقته أنا، وما سوف أضيفه بعد اشاراتك.

فصورت الكتاب وتعليقات الشيخ ناصر وبعثت بها إليه - بعد الاحتفاظ بالأصل (كما هي عادتي غالباً) - طالباً أن يعاود العمل به في أوقات وظيفته في المكتب.

ولكن الشيخ - حفظه الله - أبقى العمل عنده، مع غيره من الكتب مثل: «المشكاة» التحقيق الثاني، وما بعد الجزء الأول من «مختصر صحيح البخاري» وتخريج باقي أحاديث «السنة لابن أبي عاصم» و«الأحاديث المختارة» وغير ذلك.

وذكر في تعليقاته على إزالة الدهش، أموراً لم يكن تعرض لها في كتابه «حجة النبي ﷺ» ولا في البدع الملحقة به. وقد نقلت كل هذا في مواضعه إلى هذا الكتاب الذي بين يديك.

وفي المدة الأخيرة، رأيت الشيخ يذكر الكتاب تكراراً ضمن مؤلفاته المطبوعة - مع انه لم يطبع[1] - وأكد ذلك في الكتاب الذي ألفه عن حياته في حياته؟! بارك الله فيها، وطبعه باسم أحد إخوانه

---

(١) ولما سأله أحد الإخوة عن ذلك قال: مطبوع في المدينة المنورة!؟ ولكننا لم نجد لهذه الطبعة أثراً أو خبراً. وجرت بعض الأمور... مما جعلني أظن أمراً، وأرجو أن يكون خيراً، وأن تكون ظنوني وهماً!.

الجدد، وفي مقدمته لـ«صحيح» و«ضعيف سُنن ابن ماجه»[1] - طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض - بإشرافي -.

واليوم استخرت الله وجمعت ما عندي من تعليقات، وأعدت النظر في الكتاب، وقدمته للطبع.

وقد جعلت تعليقات الشيخ ناصر في أماكنها، مقدماً لكلامه بـ [قال الشيخ ناصر:] وخاتماً كلامه بـ [ن] وكله بين حاصرتين [ ] وذلك محافظة على تبعية كل واحد منا لعمله وقوله.

وأضفت إلى قوله ما أحال عليه من كتبه السابقة، فهو من استخراجي، وهذه زادت على ما كتبه في تعليقاته، وإضافة هذا أيضاً على مسؤوليتي وتبعتي - قطعاً - مع كل شيء في الكتاب، غير كلام القادري والألباني. والملحق من تفسير الشيخ عبد القادر بدران - رحمه الله - من الصفحة ٧٤ إلى ٨١.

وستجد نجمة (*) أو نجمتين (**) فهذه تدل على متابعة مني لكلام الشيخ الألباني. وقد تكون، إتماماً لإشارات له لم يتمها، أو استخرجتها من مؤلفاته.

وفي هذا القدر كفاية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيروت غرة رجب ١٤١٤.

زهير الشاويش

---

(١) وصحاح السنن الأربعة، يوزعها المكتب الإسلامي. وضعاف السنن الأربعة حق طبعها للمكتب الإسلامي.